

بافتتاح مدرسة النجاح بطما التي تأسست بناية سعادة مدير جرجا
ومساعدة حضرة الفاضل يوسف أفندي شوقي ماءور المركز فأجاب الجميع
الدعوة « ثم ذكر في أمر الاحتفال ماذا ذكر ، ونحن نرفع في «المنار» رايات
الثناء لسعادة هذا المدير الكامل ، ومن ساعده على عمله من الافاضل ،
هؤلاء هم الوطنيون الخالص ، هؤلاء هم المجددون لمجد أممتهم وملتهم ، هؤلاء
أفضل العاملين ، وأتقى من الغزاة والمحاربين ، لا جرم ان العلم أفضل من
الحرب والجهاد ، فافتتاح المدارس أفضل من افتتاح البلاد ، فرجو ان
يسري هذا الروح الشريف في سائر البلاد المصرية ، بل وفي جميع البلاد
الشرقية ، وبالختام نرجو من سمو العزيز مولانا عباس باشا حلي ان يكافئ
سعادة مدير جرجا وحضرة مأمور طما ومن سعى سعيها أحسن المكافأة
العلم الذي هو أجل رغائب سموه في اسعاد بلاده وتنشيطاً لسائر
ريته على مثل هذا العمل وجرياً على سنة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين
السلطان الاعظم الذي يقتني سموه أثره أدام الله سلطاننا وهزينا ملجأ
للسارف ومصدراً للعوارف بمنه وكرمه اللهم آمين .

حاجة البشر الى الرسالة

(تابع ما قبله)

يجب الكلب سيده ويخلص له ويدافع عنه دفاع المستيت لما يرى
انه مصدر الاحسان اليه في سداد عوزه فصورة شبعه وريه وحمايته مقرونة
في شعوره بصورة من يكفلها له فهو يتوقع قدما يفقده فيحرص عليه

حرصه على حياته ولو أنه انتقل من حوزته الى حوزة آخر وغاب عنه
السنين ثم رآه معرضاً لخطر ما عادت اليه تلك الصور يصل بعضها بعضاً
واندفع الى خلاصه بما يمكنه القوة

ذلك لان الإلهام الذي هدي به شعور الكاب ليس مما تتسع به المذاهب
فوجدانه يتردد بين الاحسان ومصدره وليس له وراءها مذهب فأجته
في سد عوزة هي حاجته الى القائم بأمره فيجبه محبته لنفسه ولا يخس منها
شوب التعاض في الخدمة

أما الانسان وما أدر الكما هو فليس أمره على ذلك، ليس ممن يلهم
ولا يتعلم، ولا يمن يشمر ولا يتفكر، بل كان كاله النوعي في اطلاق مداركه عن
القيود ومطالبه عن النهايات، وتسليمه على صنوه، الى العالم الاكبر على جلالاته
وعظمته، يصارعه بموامله وهي غير محدودة، وابداعه من قوى الادراك
والعمل ما يعينه على المبالغة، ويمكنه من المطالبة، بسعيه ورأيه، ويتبع
ذلك أن يكون له في كل كائن مما يصل اليه لذة، وبجوار كل لذة ألم ومخافة،
فلا تنتهي رضائبه الى غاية، ولا تقف مخاوفه عند نهاية «ان الانسان خلق
هلوعاً، اذا مسه الشر جزوعاً، واذا مسه الخير منوعاً» تفاوتت أفراده في
مواهب الفهم، وفي قوى العمل، وفي الهمة والمزم، ففهم المقصر ضيقاً أو
كسلاً، المتطاول في الرغبة شهوة وطمعاً، يرى في أخيه أنه المون له على
ما يريد من شؤون وجوده، ولكنه يذهب من ذلك الى تخيل اللذة في الاستمرار
بجميع ما في يده، ولا يقنع بمعارضه في ثمرة من ثمار عمله، وقد يجد اللذة في
أن يتمتع ولا يعمل، ويرى الخير في أن يقيم مقام العمل، أعمال الضكر في
استنباط ضرب الحيل، ليتمتع. وان لم ينفع وينقلب عليه ذلك حتى يتخيل له

أن لا حير عليه لو اتفرد بالوجود عن يطلب مغالته، ولا يبالي برسالة الى عالم الغنم بعد سلبه، فكما حثه الذكر والخيال الى دفع مخافة أو الوصول الى لذته فتح له الفكر باباً من الحيلة، أو هيأ له وسيلة لاستعمال القوة، فقام التماهي، مقام التواهي، وحل الشقاق، محل الوفاق، وصار الضابط لسيرة الانسان إما الحيلة وإما القهر

هل وقف الهوى بالانسان عند التنافس في اللذات الجسدانية وتجالد افراده طمعاً في وصول كل الى ما يظنه غاية مطلبه وان لم تكن له غاية؟ كلا ولكن قدر الله له أن تكون له لذات روحانية وكان من أعظم همه أن يشعر بالكرامة له في نفس غيره عن تجمه معهم جامعة ما حسبما ابتدأ به نظره، وقد بلغت هذه الشهوات حداً من الاتساع كادت تغلب على جميع الشهوات، وأخذت لذة الوصول اليها من الأرواح مكاناً لا تصعد اليه سائر اللذات، وهي من أفضل العوامل، في إحرار الفضائل، وتمكين الصلات بين الافراد والاعم، لو صرفت فيما سبقت لاجله. ولكن انحرف بها السبيل كما انحرف بغيرها للأسباب التي أشرنا اليها من التفاوت في مراتب الادراك والهمة والعزيمة حتى خيل للكثير من العقلاء أن يسعى الى اعلاء منزلته في القلوب باخافة الآمن، وازعاج الساكن، واشعار القلوب برهبة المخافة، لانهيب الحرمة

هل يمكن مع هذا أن يستقيم أمر جماعة بني نظامهم وعاق بقاؤهم في الحياة على تعاونهم ورفد بعضهم بعضاً في الاعمال؟ أو لا تكون هذه الافعال السابق ذكرها سبباً في تفانيهم؟ لا ريب ان البقاء على تلك الاحوال،

من ضروب الحال، فلا بد للنوع في حفظ بقائه من المحبة أو ما ينوب عنها من بابها
لما بعض أهل البصيرة في أزمنة مختلفة إلى العدل وظنوا كما ظن
بعض العارفين ونطق به في كلمة جليلة أن العدل نائب المحبة، نعم لا يتخلو
القول من حكمة ولكن من الذي يضم قواعد العدل ويحمل الكافة على
رعايتها؟ قيل ذلك هو العقل فكما كان الفكر والدكر والحيل يتابع الشقاء
كذلك تكون وسائل السعادة، وفيها مستقر السكينة، وقد رأينا أن اعتدال
الفكر وسعة العلم، وقوة العقل وأصالة الحكم، تذهب بكثير من الناس إلى
ما وراء حجب الشهوات، وتعالو بهم فوق ما تخليه المخاوف، فيعرفون لكل
حق حرمة، ويميزون بين لذة ما ينفي ومنفعة ما يبق، وقد جاء منهم أفراد
في كل أمة وضعوا أصول الفضيلة، وكشفوا وجوه الرذيلة، وقسموا أعمال
الإنسان إلى ما تحضر لذته وتسوء عاقبته، وهو ما يجب اجتنابه، وإلى ما قد
يشق احتماله ولكن تسر مغباته، وهو ما يجب الأخذ به، ومنهم من أتفق
في الدعوة إلى رأيه نفسه وماله وقضى شهيداً في دعوة قومه إلى ما يحفظ
نظامهم. فهؤلاء العقلاء هم الذين يضمون قواعد العدل وعلى أهل السلطان
أن يحملوا الكافة على رعايتها وبذلك يستقيم أمر الناس

هنا قول لا يجافي الحق ظاهره، ولكن هل سمع في سيرة الإنسان
وهل ينطبق على سنته أن يخضع كافة أفراد أو الغالب منهم لرأي الماقل
لمجرد أنه الصواب؟ وهل كفى في اتناع جماعة منه كسب أو أمة قول
عاقلم أنهم مخطئون وأن الصواب فيما يدعونهم إليه، وإن أقام على ذلك من
الأدلة ما عمو أوضح من الضياء، وأجلى من ضرورة المحبة للبقاء، كلا، إن
ذلك في تاريخ الإنسان ولا هو مما ينطبق على سنته فقد تقدم لنا أن يجب

الشقاء هو تفاوت الناس في الادراك وهم مع ذلك يدعون المساواة في القول، والتقارب في الاصول، ولا يعرف جمهورهم من حال الفاضل، الا كما يعرف من أمر الجاهل، ومن لم يكن في صرتك من العقل، لم يذق مذاقك من الفضل، فمجرد البيان العقلي لا يدفع زائعا ولا يرد طامنا نيتة، وقد يكون القائم على ما وضع من شريعة العقل ممن يزعم انه ارفع من واضعها فيذهب باناس مذهب شرواته فذهب حرمتها ويهدم بناؤها ويقدم ما قصد بوضعها اضيف الي ما سبق من لوازم نزعات الفكر ونزعات الالهواء شعورا هو الصق بالغريرة البشرية واشد لزوما لها . كل انسان مهيأ علفكره، وقوي عقله ، او ضعفت فطنته، وانحطت فطرتة ، يحد من نفسه انه مغلوب لقوة ارفع من قوته وقوة ما آانس منه القلبة عليه مما حوله، وانه محكوم بإرادة تصرفه وتصرف ما هو فيه من العوالم في وجوه قد لا تعرفها معرفة العارفين، ولا تتطرف اليها ارادة المختارين، تُشعر كل نفس انها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمى، قطابها من حسبها تارة ومن عقلها اخرى، ولا سبيل لها الا الطريق التي حددت انواعها، وهي طريق النظر فذهب كل في طلبها وراء رائد الفكر - فمهم من تأولها يبهض الحيوانات لكثرة نقصها او شدة ضررها، ومنهم من تثامت له في بعض الكواكب لظهور أثرها، ومنهم من حجبتة الاشجار والاحجار لا اعتبارات له فيها، ومنهم من تبدت له آثار قوى مختلفة في انواع متفرقة تماثل في افراد كل نوع وتختلف بتخالف الانواع فجعل لكل نوع الها. ولكن كلما رقى الوجدان، ولطفت الازهار، وتقدت البصائر، ارتفع الفكر وجلت النتائج، فوصل من بلغ به طعه بعض المنازل من ذلك الى معرفة هذه القدرة الباهرة واعتدى الى

انها قدرة واجب الوجود. غير ان من اسرار الجبروت ما غمض عليه فلم
يسلم من الخبط فيه، ثم لم يكن له الميزة الفائقة في قومه ما يحملهم على
الاهتداء بهديه فبقي الخلاف ذائعا، والرشد ضائعا، اتفق الناس في الاذعان لما
فاق قدرهم، وعلامتنا اول استطاعتهم، لكنهم اختلفوا في فهم ما تلجئهم الفطرة
الى الاذعان له اختلافاً كان اشد اثاراً في التقاطع بينهم، واثارة احاسير
الشقاق فيهم، من اختلافهم في فهم النافع والضار لقلبة الشهوات عليهم
ان كان الانسان قد فطر على ان يعيش في جملة ولم يمنح مع تلك
الفطرة ما منحه النحل وبعض افراد النمل مثلاً من الالهام الهادي الى
ما يلزم لذلك وانما ترك الى فكره يتصرف به على نحو ما سبق كما فطر
على الشعور بقاهر تنساق نفسه بالرغم عنها الى معرفته ولم يقض عليه مع
ذلك الشعور عرفانه بذات ذلك القاهر ولاصفاته وانما القى به في مطارح
النظر تحمله الافكار في مجاريها وترمي به الى حيث يدري ولا يدري وفي
كل ذلك الويل على جامعته وانظر على وجوده، اقبل مني هذا النوع
بالتقص ورزىء بالتصور عن مثل ما بلغه اضعف الحيوانات واحطها في
منازل الوجود، نعم هو كذلك لولا ما اتاه الصانع الحكيم من ناحية ضعفه
الانسان عجيب في شأنه يصعد بقوة عقله الى اعلى مراتب الملكوت،
ويطاول بفكره ارفع معالم الجبروت، ويسامي بقوته ما يعظم عن ان يسامى
من قوى الكون الاعظم، ثم يصغر ويتضائل ويتحط الى ادنى درك من
الاستكانة والخضوع متى عرض له امره ما لم يعرف سببه، ولم يدرك
منشأه، ذلك اسرّ عرفه المستبصرون، واستشعرته نفوس الناس اجمعين
من ذلك الضعف قيد الى هداه، ومن تلك الضمة أخذ بيد الى شرف

بعبادته ، أكل الواهب الجواد لجملة ما اقتضت حكمته في تخصيص نوعه
بما يميزه عن غيره أن يتقص من أفرادها ، وكما جاد على كل شخص بالعقل
المصرف للعواص لينظر في طلب اللقمة وستر العورة والتوقي من الحر
والبرد جاد على الجملة بما هو أمس بالحاجة في البقاء ، وآثر في الوقاية من
غوائل الشقاء ، واحفظ لنظام الاجتماع ، الذي هو عماد كونه بالاجتماع ، من
عليه بالنائب الحقيقي عن المحبة بل الراجع بها إلى النفوس التي اقتربت منها .
لم يخالف سنته فيه من بناء كونه على قاعدة التعليم والارشاد غير أنه أتاه مع
ذلك من أضعف الجهات فيه وهي جهة الخضوع والاستكافة فقام له من
بين أفرادها مرشدين هادين ومميزهم من بينها بخصائص في انفسهم لا يشركهم
فيها سواهم وأيد ذلك زيادة في الاقناع بآيات باهرات تملك النفوس ،
تأخذ الطريق على سوابق العقول ، فيستغذي الطامح ، وينزل الجاهل ، ويصطدم
بها عقل العاقل فيرجع إلى رشده ، وينبهر لها بصر الجاهل فيرتد عن غيئه ،
يطرقون القلوب بموارع من أمر الله ويدهشون المدارك بيواهر من آياته
فيحيطون بالعقول بالألا مندوحة عن الاذعان له ، ويستوي في الركون لما يجيئون
به المالك والملك ، والسلطان والصلوك ، والعاقل والجاهل ، والمفضول
والفاضل ، فيكون الاذعان لهم أشبه بالاضطراري منه بالاختياري
النظري ، يعلمونهم ماشاء الله أن يصلح به معاشهم ومعادهم ، وما أراد أن
يعلموه من شؤون ذاته وكمال صفاته ، وأولئك هم الانبياء والمرسلون - فبعثة
الانبياء صلوات الله عليهم من مشبهات كون الانسان ومن أهم حاجاته في بقاءه
ومنزلة من النوع ، منزلة العقل من الشخص ، نعمة أتمها الله لكيلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل . وستتكم عن وظيفتهم بنوع من التفصيل فيما بعداه